

تفسير البحر المحيط

@ 492 @ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهِنَّ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ } : لما ذكر □ تعالى إحياء الأرض بعد موتها ، ذكر ما ينشأ عن ما ينشأ عن المطر وهو حياة الأنعام التي هي مألوف العرب بما يتناوله من النبات الناشء عن المطر ، ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم . وقرأ ابن مسعود بخلاف ، والحسن ، وزيد بن علي ، وابن عامر ، وأبو بكر ، ونافع ، وأهل المدينة . نسقيكم هنا ، وفي قد أفلح المؤمنون : بفتح النون مضارع سقى ، وباقي السبعة بضمها مضارع أسقى ، وتقدم الكلام في سقى وأسقى في قوله { فَأَسْقِيَنَّكَ مَوْهٍ } وقرأ أبو رجاء : يسقيكم بالياء مضمومة ، والضمير عائد على □ أي : يسقيكم □ . قال صاحب اللوامح : ويجوز أن يكون مسنداً إلى النعم ، وذكر لأنَّ النعم مما يذكر ويؤنث ومعناه : وأنَّ لكم في الأنعام نعماً يسقيكم أي : يجعل لكم سقياً انتهى . وقرأت فرقة : بالتاء مفتوحة منهم أبو جعفر . قال ابن عطية : وهي ضعيفة انتهى . وضعفها عنده □ أعلم من حيث أنت في تسقيكم ، وذكر في قوله مما في بطونه ، ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة ، لأن التأنيث والتذكير باعتبار وجهين ، وأعاد الضمير مذكراً مراعاة للجنس ، لأنه إذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكراً كقولهم : هو أحسن الفتيان وأنبله ، لأنه يصح هو أحسن فتى ، وإن كان هذا لا ينقاس عند سيويه ، إنما يقتصر فيه على ما قالته العرب . وقيل : جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ، ومعاملة الجمع ، فيعود الضمير عليه مفرداً . كقوله . :

مثل الفراخ نبقت حواصله .

وقيل : أفرد على تقدير المذكور كما يفرد اسم الإشارة بعد الجمع كما قال : % (فيها

خطوط من سواد وبلق % .

كأنه في الجلد توليع البهق .

%) .

فقال : كأنه وقدركان المذكور . قال الكسائي : أي في بطون ما ذكرنا . قال المبرد :

وهذا سائغ في القرآن قال تعالى : { إِنَّ هَٰذَا هِـ تَذَكُّرَةٌ } { فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ }
{ أي ذكر هذا الشيء . وقال : { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي }
{ أي هذا الشيء الطالع . ولا يكون هذا إلا في التأنيث المجازي ، لا يجوز جاريتك ذهب .
وقالت فرقة : الضمير عائد على البعض ، إذ الذكور لا ألبان لها فكأن العبرة إنما هي في
بعض الأنعام . وقال الزمخشري : ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة
على أفعال كقولهم : ثواب